من بشائر النبوة

يقول رسول الله ﷺ : " **أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى..** ".

ويقول: "**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي وَأَنَا الْعَاقِبُ**"[1] **وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.**

وروى أن سلمان الفارسي كان قد عرف أنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجره بين مرتين ـ أي مكان هجرته بين جبلين أسودين ـ يعني المدينة المنورة وبينهما نخل به علامات لا تخفى ... يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوه.

قال سلمان: " .. ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يقيع الفرقد قد تتبع جنازة رجل من أصحابه، فسلمت عليه ثم استدبرته أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذى وصف لى، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكى. فقال لى رسول الله ﷺ : تحول، فتحولت بين يديه. وشهدت بأنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. قال رسول الله ﷺ : " **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ ثُمَّ فَرَّقَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْفِرْقَتَيْنِ ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ بَيْتًا فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا** ".

وقال ﷺ : " **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلا تَحْتَ لِوَائِي** ".

١- هذا حديث حسن صحيح، أخرجه الشيخان وغيرهما .

(١) بحيرى الراهب

كان النبى ﷺ فى كفالة عمه أبى طالب، والذى تأهب للسفر مع القافلة الذاهبة إلى الشام للتجارة، فأبدى النبى ﷺ رغبته لعمه فى مصاحبته وهو يومئذ فى الثانية عشرة على الأكثر، فاستصحبه عمه على بعيره، وسارت القافلة خلال الصحراء إلى سوق بصرى من أرض الشام.

وكان بطريق القافلة صومعه لحبر من يهود تيماء يسمى بحيرى الراهب، كان لا يخرج من صومعته أبدًا للتجار من قريش ولا يتكلم معهم إذا مروا، ولكنه خرج وكلمهم ووضع لهم طعامًا فعجبوا، وقالوا له: إن لك لشأنا اليوم .. فدعاهم جميعًا إلى الطعام، وقال: لا يتخلف أحد منكم، وتخلف النبى ﷺ فى رحالهم تحت شجرة، فلما اجتمعوا لم يجد بحيرى طلبته، فقال لهم: فيكم متخلف؟ فقالوا: لم يتخلف إلا غلام وهو أحدثنا سنًا، فقال: ادعوه، فأتوه به فرآه بحيرى، وجعل يلحظه به فرآه بحيرى، وجعل يلحظه بشده. فلما انتهوا من الطعام وتفرقوا، أقبل بحيرى على النبى ﷺ وقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى، فقال ﷺ: لا تسألنى بحق اللات والعزى شيئًا فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما. فقال بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه.

وجعل يسأل والنبى ﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفة، ونظر إلى عاتقه، فوجد خاتم النبوة بين كتفيه فى موضعه الذى ذكره فى صفته، ثم أقبل بحيرى على عمه أبى طالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى. فقال: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا. قال أبو طالب: فإنه ابن أخى، قال: فما فعل أبوه؟

قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت. فما فعلت أمه؟

قال: توفيت قريبًا. قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود فوالله لو رأوه وعرفوا ما عرفت لقتلوه، وإن لإبن أخيك هذا لشأنًا عظيمًا، وإنه لنبى هذه الأمة لما نجده فى كتبنا وروياه عن آياتنا، واعلم أنى قد أديت إليك النصيحة فأسرع به إلى بلده، فرجع به أبو طالب مسرعًا إلى مكة حذرًا عليه من حوادث الزمن.

(٢) ورقة بن نوفل

لما بدأ نزول الوحى على رسول الله ﷺ بسورة: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ (العلق: ١). أثرت تلك الآيات فى نفسه تأثيرًا بالغًا، فآمن بما أوحى إليه من آيات واطمآن قلبه، وآمنت خديجة زوجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضًا، ولكنها أرادت أن تعلم ابن عمها ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العرى، تنصر فى الجاهليه وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما يشاء أن يكتب، وكان شيخًا قد عمى. فقالت له خديجة: "يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك".

فقال له ورقة: يا أخى ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ بخير ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس (أى الوحى) الذى أنزل على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ليتنى فيها جذعًا، ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: "أومخرجى هم؟"

قال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم لم يلبث أن توفى ورقة وفتر الوحى.

(٣) عتبة بن ربيعة

تعرض كفار قريش لرسول الله ﷺ بالأذى لإرجاعه عن أمره، فلما وجدوا أن طريق الأذى لم يجدهم نفعًا فيما يريدون، اجتمعوا للشورى، فاتفقوا على أن يبعثوا إليه عتبة بن ربيعة، وكان من عظمائهم ليعرض عليه أمورًا، لعله يقبلها ويرجع عن هذه الدعوى، فذهب إلى رسول الله ﷺ وهو يصلى فى المسجد. وقال له: يا ابن أخى إنك من خيارنا حسبًا ونسبًا، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم، ومن مضى من آبائهم، فإن كنت تريد ملكًا، ملكناك علينا، وإن كنت تريد شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فلما فرغ من كلامه ورسول الله ﷺ يستمع منه. قال: قد فرغت يا أبا الوليد؟.

قال: نعم، قال: فاسمع منى. قال: أفعل. قال: ﴿ حٰمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣ ﴾ (فصلت ١- ١٣).

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة منه أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يستمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد. ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك. فرجع عتبة إلى قومه وقال لهم: يا معشر قريش لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر فأطيعونى وامتنعوا عن الرجل. فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعته شأن فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم

وإن يظهر على العرب فعزه عزكم، فقالوا: لقد رجع عتبه بغير الوجه الذى ذهب به، لقد سحرك محمد والله يا أبا الوليد بلسانه.

قال: هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

(٤) عمير بن وهب الجمحى

بعد أن انتصر المسلمون على كفار قريش فى غزوة بدر الكبرى، وتحقق لهم ما تنبأ به رسول الله ﷺ من أن عير قريش كادت أن تغدو نقلاً للمسلمين، زلزل المشركون لهذا زلزالاً شديدًا، وجلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أميه بن خلف يذكر مصاب أهل بدر من أصحاب القليب[1].

فقال صفوان: والله ما فى العيش بعدهم خير.. وإن باطن الأرض لخير من ظهرها، لا أكاد أصدق أن يقتل عتبه بن ربيعة وأخوة شيبة، وعمرو بن هشام، وأمية بن خلف وابنه على، وعتبه بن أبى معيط وأبو البخترى ... وغيرهم.

كان عمير جالسًا فى الحجر يتذاكر مع رفيقه هذا المصاب، وهو الذى كان شيطانًا من شياطين قريش لا يكف أذاه عن الرسول ﷺ وأصحابه وهم بمكه.

قال عمير: صدقت والله. لولا دين علىَ لا أظن أنى يمكننى قضاءه الآن، وعيال أخشى عليهم الضيعة من بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، وإن لى عذر وعلة فى ذلك فإبنى أسير أيديهم من بعدما هدأت الحرب.

فاغتنم صفوان الفرصة مشجعًا رفيقه على الاسترسال فى غيه.

---

(١) يقال أن القليب مكان منخفض عميقة يلى الزريب كان المسلمون يجمعون فيه جثث المشركين.

لا تحمل لذلك هما فعلىَ دينك أقضيه عنك، ولا تخشى على عيالك فهم مع عيالى أواسيهم ما بقوا أحياء.

فقال: فأكتم عنى شأني وشأنك.

لا تبح به لأحد.

قال صفوان: أفعل.

وما أن غادر عمير صاحبه حتى أقبل يشحذ سيفه وسمه وامتطى صهوة جواده متوجهًا إلى المدينة المنورة. توجه أولاً إلى مكان قريب، حيث أعدت له راحلة السفر، وما كان قيظ مكة ليثنيه عما نوى أن يفعله.

وعند المسجد النبوى، كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبعض الصحابة يذكرون ما أكرمهم الله به من انتصارات، إذ لمح عمر عميرًا ينيخ راحلته عند المسجد متوجهًا إليه متوشحًا سيفه.

قال عمر لأصحابه: هذا الكلب ما جاء إلا لشر. ادخلوا المسجد كى نحمى رسول الله ﷺ. إحذروا من هذا الخبيث فإنه غير مأمون عليه. فهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم.

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه. قال: فادخله على. فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فلببه بها، ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه الرسول ﷺ وعمر آخذ بحماله سيفه فى عنقه قال: أرسله يا عمر. اذن يا عمير. فدنا. فقال: فما جاء بك يا عمير؟.

قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا إلى فيه.

قال: فما بال السيف فى عنقك؟

قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئًا؟

قال الرسول ﷺ: اصدقنى ما الذى جئت له؟

قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قتلى قريش. ثم قلت لولا دين عليَ عيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدًا. فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له. والله حائل بينى وبين ما تريد.

قال عمير: أشهد أنك رسول الله. قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك الوحى. وهذا أمر لم يحضره أحد إلا أنا وصفوان ولم نبح به لأحد. فوالله إنى أعلم ما أتاك به الله وما أنبئك إلا العليم الخبير. فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق. ثم شهد شهادة التوحيد والحق. فقال رسول الله ﷺ: فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا.

فقال: يا رسول الله إنى كنت جاهدًا على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ﷻ وأنا أحب أن تأذن لى حتى أقدم مكة فأدعوهم إلى الإسلام وإلى الله وإلى رسوله ﷺ لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أؤذى أصحابك فى دينهم. فأذن له رسول الله ﷺ ولحق بمكة.

وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير يقول: أبشروا بواقعة تأتيكم الآن فى أيام تسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه. فحلف أن لا يكلمه ولا ينفعه بنفع أبدًا.

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذى من خالفه أذى شديدًا، فأسلم على يديه ناس كثير. وعند فتح مكة

هـرب صفـوان فى هذا اليوم إلى جدة ليركـب منها إلى اليمن، فقال عميـر بـن وهب: يا نبى الله إن صفوان بن أميه سـيد قومى، وقد خرج هاربًا منك فأمنه، ؟ فقال هو آمن.

قـال عمير: يا رسـول الله أعطنى شـيئًا يعرف بـه أمانك، فأعطاه عمامتـه التى دخل بها مكة، فخرج عمير حتى أدركه بجدة، فقال: يـا صفـوان هـذا أمان رسـول الله ﷺ. فرجـع معه حتى وقـف به على رسول الله.

فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمنتنى؟ قال: صدق.

قـال صفـوان: فاجعلنـى فى أمـرى بالخيار شـهرين. قـال أنت فيه بالخيـار أربعة أشـهر، فلما خرج النبى ﷺ إلى حنين وهوازن اسـتعار من صفوان مائة درع.

قال: أغصبًا يا محمد؟

قال النبى ﷺ: بل عارية مضمونة، يقصد أنها بالأجر يدفع مقابلها. وشـارك صفوان بـن أمية مع المسـلمين فى غزوة حنيـن، وقد أعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل من غنائم غزوة الطائف. ويقال أن صفوان بن أميه طاف مع رسـول الله ﷺ وهو يتصفح الغنائم وإذا بشـعب مما أفاء الله عليه فيه غنم وإبل ورعاء فأعجب صفوان، وجعل ينظر إليه، فقال رسـول الله ﷺ: أعجبك يا أب وهب هذا الشعب. قال: نعم. قال: هو لك وما فيه فقال له صفوان: أشهد ما طابت نفس أحد بهذا إلا نبى وأشهد أنك رسول الله.

(٥) سراقة بن مالك بن جعشم

لما أذن رسـول الله ﷺ للمسـلمين فى مكة بالهجرة إلى المدينة المنـورة، وأتـى أبـو بكر الصديق للرسـول ليأذن لـه بالهجرة، فقال

رسول الله ﷺ : على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى. قال: هل ترجو بأبى أنت ذلك؟ فرحا بأن سيصحب رسول الله . قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وأعد راحلتين لذلك.

كان الرسول ﷺ وصاحبه قد اتجها للجنوب للتمويه على كفار قريش واختبأ فى غار ثور، وغمى الله عيون الكفار الذين يطاردونهم عنهم، فلما انصرف كفار قريش عادا بصحبة عامر بن فهيرة مولى أبى بكر إلى الارتحال جهة المدينة متخذين طريق الساحل.

وكان سراقة بن مالك بصحبة بعض رفاقة جالسًا معهم، إذ قال أحدهم: إنى أرى خيالات ثلاثة عن بعد لعلهم محمد ومن يعاونه الذين يتحدثون عنهم.

فقال سراقة صارفًا أنظار رفاقه عنهم: لا، ليسوا هم، فهؤلاء رجال آخرون كانوا يبحثون عن ضاله لهم. وقام سراقه مسرعًا يعد فرسه ويمنى نفسه بالحصول على مائه بعير قد وعدت به قريش من يدل على محمد أو يأتى به.

أسرع سراقه بالمطاردة وكاد أن يلحق بمحمد وصاحبه، حتى أن أبا بكر دمعت عيناه فسأله الرسول ﷺ عما يبكيه فقال له مؤكدًا "ليس على نفسى ولكن عليك أنت يا رسول الله. قال الرسول ﷺ: لا تحزن، إن الله معنا". فلما دنا منهم سراقة، فدعا رسول الله ﷺ: اللهم اكفناه بما شئت، فساخت بسراقة فرسه فى الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، أدرك سراقة فى تلك اللحظة أن هذا هو نبى الله وأن ما حدث له من عصمة الله سبحانه لنبيه. ثم قال سراقة: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائى من الطلب، وهذه كنانتى فخذ منها سهمًا، فإنك ستمر بإبلى وغنمى، فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ: لا حاجه

لنا فى إبلك وغنمك، فدعا له فانطلق راجعًا إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وصاحبه حتى قدم المدينة ليلاً. وكان سراقة قد طلب من رسول الله كتابًا حتى إذا جاءه بعدئذ يعرفه، فطلب أبو بكر فى رقعة من أدم كتاب موادعة يأمنه به ودفعة إلى سراقة عامر بن فهيرة. ولم يذكر سراقة شيئًا مما كان حتى فتح الله مكة وفرغ رسول الله من حنين، فخرج سراقة ليلقاه ومعه الكتاب، فدنا من رسول الله، وهو على ناقته، فرفع يديه بالكتاب وسأله عن ضالته، ثم انصرف وساق إلى رسول الله ﷺ صدقته.

وقد أسلم سراقة وحسن إسلامه.

وقد أُتى لعمر بن الخطاب بغزوة كسرى بعد أن فتح الله للمسلمين بلاد فارس، فوضعت بين يديه، وفى القوم سراقة بن مالك بن جعثم، فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما فى يدى سراقة قال: الحمد لله..

سوارا كسرى فى يدى سراقة أعرابى من بنى مديح، فكان كما تنبأ رسول الله ﷺ من أن الله سيفتح على يد المسلمين ممالك الأرض ولا عجب إن رأيتم سوارى كسرى بن هرمز فى يدى سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى.

(٦) إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

كان الحقد والغيظ يملأ قلوب كفار قريش، ودعوة رسول الله ﷺ تزداد انتشارًا يومًا عن يوم، فكان الكفار ينالون منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وفى يوم من الأيام لقيه أبو جهل عمرو بن هشام عند الصفا فجعل يسبه وينال بفاحش من القول، ورسول الله ﷺ يعرض عنه ولا يصده ولا يرده، ثم انصرف أبو جهل إلى نادى

قريش عند الكعبة فجلس مع رفاقه، حدث كل هذا على مرأى ومسمع مولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لهما عند الصفا، فلما أقبل حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ من الصيد متنكبًا قوسه، أخبرته الأمة بما رأت من أبى جهل، فغضب حمزة غضبًا شديدًا، وكان من أشد فتيان قريش شكيمة، فأخذته الحمية على من ينال من ابن أخيه، فانطلق من فورة إلى أبى جهل، فوجده جالسًا فى نادى القوم، فضربه بالقوس فشجه شجة منكرة، ثم وقف أمامه كالأسد الهائج وقال له وكان لا يزال على دين قومه: أتشتم ابن أخى وأنا على دينه أقول ما يقول!!.

فرد علَ ذلك إن استطعت. فقام رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل.

فقال أبو جهل فى استخذاء: "دعوا أبا عمارة، فإنى والله سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا".

وذهب حمزة إلى رسول الله ﷺ فأعلن إسلامه.. فقويت به شوكة الإسلام، وعز به المسلمون. فكانت شجاعته وبأسه وقوته كلها بعد ذلك فى سبيل إعلاء كلمة الله. فسمى " أسد الله " وكان إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ست من البعثة النبوية الشريفة. واستشهد فى غزوة أحد، فإلى جنة الخلد.

(٧) إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مع بدايات الإسلام، وفى السنة السادسة من النبوة، كان عمر بن الخطاب لا يزال يدين بدين آبائه، وبقى ظاهرًا فى عداوته ضد الإسلام، وبخاصة أن عمر كان عنيفًا شديد البأس، يمتاز بطوله الفارع وجرأته النادرة، حتى أنه كان يضمر للإسلام ورسوله عداوة

لا تقل فى عنفها عن عداوة خاله عدو الله أبى جهل، رغم أن عمر كان يكمن فى قلبه شعور فى ليلة اضطر فيها إلى المبيت خارج بيته، فجاء إلى الحرم، ودخل فى ستر الكعبة ـ والنبى ﷺ قائم يصلى، وقد استفتح سورة "الحاقة" فجعل عمر يستمع إلى القرآن، ويعجب من تاليفه، فيقول فى نفسه" هذا والله ليس بشاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾(الحاقة: ٤٠ - ٤١) فحدثته نفسه "كَاهِنٍ".

قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (الحاقة: ٤٢ - ٤٣) إلى آخر السورة فوقع الإسلام فى قلبه. إلا أن عمر كان يرى أن رسول الله ﷺ هو الذى فرق أمر قريش، وعاب دينها وسب آلهتها، وأنه سبب بلائها كله، فعزم على أن يقتله ليسترح الناس منه، فخرج متوشحًا سيفه يريد القضاء على النبى ﷺ، فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدًا، هذا الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها، فأقتله.

فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر!! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقتد قتلت محمدًا؟

أفلا ترجع إلى أهل بيتك لتقيم أمرهم؟

قال: وأى أهل بيتى؟

قال: ابن عمك وصهرك سعيد بن زيد بن عمر، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمدًا على دينه، فعليك بهما. فرجع عمر عامدًا إلى أخته وصهره، فى تلك اللحظة كان عندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة " طه " يقرئهما إياها، فلما سمعوا صوت عمر تغيب خباب فى جانب من البيت، وأخذت فاطمة

الصحيفى فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما. فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة التى سمعت؟

قالالا له: ما سمعت شيئا.

قال: بلى والله وقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه!!.

وبطش بسعيد بن زيد ، فقامت أخته تذوده عن زوجها فضربها فشجها وسال دمها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله وبرسوله ، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع بها وبزوجها ، فكف عنهما خجلاً ، وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون آنفا ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد.

وكان عمر كاتبًا ومن أعلم الناس بالشعر ، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافى. وحلف لها بآلهته ليردنها إليها إذا قرأها.

فلما قال ذلك طمعت فاطمة بنت الخطاب فى إسلامه. فقالت له: يا أخى، إنك على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها صدرًا من سورة "طه". فلما قرأها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!!. فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه من مكمنه فقال له: يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين بأحب الرجلين إليك. عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام. فكان أحبهما إلى الله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالله الله يا عمر. فقال له عمر عند ذلك" فدلنى على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا مع نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشح به، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ فضرب عليهم الباب، فلما

سمعوا صوته قام رجل من أصحاب النبى ﷺ فنظر من خلل الباب، فرآه متوشحًا سيفه، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: "هذا عمر بن الخطاب بالباب متوشحًا السيف، قال حمزة بن عبد المطلب: فائذن له، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان يريد شرًا قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله ﷺ "إئذن له" فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته ـ أو مجمع ردائه ـ ثم جبذه جبذة شديدة. وقال ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله. وبما جاء من عند الله. فكبر رسول الله ﷺ تكبيرًا عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر بعد إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وأنهم سينتصفون بهما من أعدائهم. وقد أبى عمر إلا أن يعلن إسلامه على جميع الملأ من قريش، فساروا إليه وقاموا يضربونه ويضربهم حتى قعد وقد أعياه وقاموا على رأسه، وهو يقول: أفعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله لو كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو تركتموها لنا.

وما زال القوم قائمين على رأس عمر حتى مر بهم العاص بن وائل السهمى ـ أحد زعماء قريش ـ فصرفهم عنه وهو يقول لهم: رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون منه؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا، خلوا عن الرجل ـ فانصرفوا وهم يتحرقون من الغيظ. ولم يكتف عمر بهذا الإعلان عن إسلامه، بل ذهب إلى خاله أبى جهل، وهو يعلم أنه أعدى أعداء النبى ﷺ فأخبره بإسلامه، فبهت أبو جهل لهذا النبأ المفاجئ، وضرب الباب فى وجهه قائلا: قبحك الله وقبح ما جئت به.

وذات يوم قال عمر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال ﷺ: والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم. قال: ففيم الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق لنخرجن..

يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فخرجنا فى صفين. حمزة على أحدهما وأنا على الآخر، لهما كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، فنظرت إلى قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كيبه لم يصبهم مثلها، فسمانى رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق، أى الذى يفرق الله به بين الحق والباطل.

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، ومازلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب.

(٨) "فخلوا سبيلها فإنها مأمورة"

ناقة رسول الله "القصواء"

لما بشر رسول الله ﷺ المسلمين بهجرتهم إلى يثرب. هاجر من هاجر إلى المدينة المنورة، ورجع من كان هاجر إلى الحبشة ـ رجع إلى أرض يثرب. وكان قد حضر إلى موسم الحج فى مكة فى السنة الثالثة عشرة من النبوة يونيو ٦٢٢م بضع وسبعون نفسًا من أهل يثرب. كانوا ضمن حجاج قومهم من المشركين. فلما قدموا مكة اتصلوا سرًا بالنبى ﷺ واتفقوا معه على أن يجتمعوا فى أوسط أيام التشريق فى الشعب الذى عند العقبة عند الجمرة الأولى من منى، على أن يتم هذا الاجتماع فى سرية تامة فى ظلام الليل. كان معهم عبد الله بن مرام ـ سيد من ساداتهم، دعوه إلى الإسلام وأخبروه بميعاد رسول الله ﷺ إياهم بالعقبة، فأسلم وشهد معهم العقبة وكان نقيبًا.

كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من نسائهم: نسيبة بنت كعب أم عمارة من بنى مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو أم منيع من بنى سلمة_ فاجتمعوا فى الشعب ينتظرون رسول الله ﷺ حتى جاءهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب _ وهو يومئذ على دين قومه _ إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له.

وكانت البيعة هى تعتبر معاهدة دينية وعسكرية تم ابرامها بني النبى ﷺ والحاضرين من الأنصار. كان من الحاضرين رجلان من الذين أسلموا فى موسمى حج ١١، ١٢ من النبوة. وقام أحدهما تلو الآخر ليوضحا خطورة المسئولية ومدى استعداد القوم للتضحية من أجل الدعوة. وقد أوضح لهم العباس بن عبد المطلب أن ابن أخيه فى عز ومنعه من قومه فى بلده، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليهم واللحوق بهم، وأنه أتى إليهم ليبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، للتأكد من أنهم وافون له بما دعاهم إليه، وهذا أي نصرة رسول الله ﷺ ومنعته خير الدنيا والآخرة وإن وفوا بذلك فلهم الجنة كما قال رسول الله ﷺ. فأجابوا البيعة فهى السمع والطاعة فى النشاط والكسل، وعلى النفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أن يقولوا فى الله لا تأخذهم فى الله لومة لائم، وعلى أن ينصروه إذا قدم إليهم ويمنعونه مما يمنعون عن أنفسهم وأزواجهم وأبنائهم ولهم الجنة. بعدما قيل هذا، أخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع أنفسنا منه. فبايعوا رسول الله، ولما أرادوا الوثوق من أن رسول الله لن يرجع إلى قومه ويدعهم إن اظهره الله، قال: بل الدم الدم. والهدم الهدم، أنامنكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم، وطلب رسول الله ﷺ انتخاب اثنى عشر زعيمًا يكونون نقباء على قومهم وكانوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

بعد شهرين وبضعة أيام من بيعة العقبة الكبرى، لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلى، إذ أمرهما رسول الله ﷺ بالانتظار معه، وبقى كذلك بمكة من احتبسه المشركون كرها.

وتجهز أبو بكر للهجرة فقال له رسول الله ﷺ "على رسلك، فإنى أرجو أن يؤذن لى، فقال أبو بكر وقد أدرك أنه يسأله الصحبة: وهل ترجو ذلك بأبى أنت يا رسول الله".

قال: نعم، فانتظر أبو بكر ليصحب رسول الله ﷺ وعلف راحلتين كانتا عنده، استعدادًا للهجرة. كانت احداهما القصواء ناقة رسول الله ﷺ.

نزل المهاجرون من أهل مكة على اخوانهم من أهل المدينة. فأنزلوهم من نفوسهم منزلة الأهل والعشيرة وقاسموهم أموالهم وديارهم بسماحة المؤاخاة التى أمرهم بها رسول الله ﷺ.

وبعد أن نجى الله رسوله ثلاث مرات، الأولى من المؤامرة الكبرى لقريش لقتله عند بيته، والثانية لتعقبهم له ولصاحبه عندما اختبأ بغار ثور، والثالثة عندما تعقبه سراقة بن مالك وكاد أن يلحق بهم لولا عناية الله سبحانه وتعالى فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى الرمال وأدرك أن هذا من عمل الله ورسوله فاهتدى على يديه.

سار الرسول ﷺ وصاحبه، وسمع المسلمون بالمدينه بخروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا مستاقين للقائه، ينتظرونه صباح كل يوم أول الطريق القادم من مكة، لا يرجعهم إلا حر الظهيرة.

حتى إذا كان يوم قدوم الرسول ﷺ صرخ رجل من اليهود بأعلى صوته: يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء. وفى يوم الاثنين ٨ من ربيع الأول من السنة الرابعة عشرة من النبوة ـ وهى السنة الأولى من الهجرة ـ الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٦٢٢م ـ نزل رسول الله ﷺ ومن

معه بقباء. وكان أول عمل قام به هناك هو أن أسس أول مسجد فى الإسلام وقد عمل فيه عليه الصلاة والسلام بيده. واحتفلت المدينة بمقدمه فالصيحات فى فرح وابتهاج في كل مكان ينشدون طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ما دعا لله داع... أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرفت المدينة.. مرحبًا يا خير داع.

ثم ركب ﷺ ناقته فى موكب حافل والكل من الأنصار يدعونه، وهو يشير إلى ناقته "خلو سبيلها.. فإنها مأمورة".

فلما وصل إلى دار بنى سالم بن عوف أدركته صلاة الجمعة فصلاها هناك بمن كان معه من المسلمين. فكانت أول جمعه أمَها ﷺ . ثم ركب ناقته، فما زالت تسير وقد أرخى لها زمامها، حتى بركت فى مكان مسجده ـ وكان مربدًا يجفف فيه التمر لغلامين يتيمين من بنى النجار عند دار أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى. فنزل ﷺ قائلاً: "رب أنزلنى منزلاً مباركًا.. وأنت خير المنزلين"، قالها أربع مرات. ثم قال: "أي البيوت لأهلنا أقرب". قال أبو أيوب: أنا يا نبى الله هذه دارى. وهذا بابى. فنزل رسول الله ﷺ على أبى أيوب، فأقام عنده حتى بنى مسجده ومساكنه. وقد ظل عند أبى أيوب سبعة أشهر وقيل سنة. ونزل رسول الله ﷺ فى أسفل البيت وكان أبو أيوب وأهلة فى العلو، فقال: يا نبى الله إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى. فأظهر أنت وكن فى الأعلى فهو أرفق بنا وبمن يغشانا فى أسفل البيت. واستعطفه حتى انتقل إلى العلو. وقد أخذ رسول الله ﷺ موضع مسجده بثمنه رافضًا أن يهبها أصحابه إليه.

(٩) إسلام أبى بكر الصديق رضي الله عنه وأثره فى الدعوة

لقد أسلم أبو بكر الصديق، إذ هو أول من أسلم من الرجال الأحرار، وتوجه الرسول ﷺ بكلمة لم يظفر بها غير أبى بكر الصديق وهى قوله ﷺ (ما دخل أحد إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة وأعلم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه).

وكان الصديق رضي الله عنه فى سن قريبة من سن الرسول ﷺ وكان ذا حسب ونسب فى ديار مكة وبين سكانها، وهو وإن لم يكن هاشميًا فهو تيمى قرشى عظيم بحسن الخلق، وكرم النفس، والمعرفة بأنساب العرب. وما أن أسلم رضي الله عنه عن قناعة وعلم بما دخل فيه من دين الله تعالى حتى يتصل بخيار رجالات قريش فى مكة يعرض عليهم الإسلام سرًا فأجابه وأسلم على يديه نخبة ممتازة كان لها الأثر الكبير فى نشر الدعوة داخل مكة وخارجها.

لما هاجر مع رسول الله ﷺ أخذ معه كل ماله، وابنته اسماء حين أبدى أبوه الذى كان قد عمى تخوفه عن احتياجهم إذ تركهم أبوهم، أكدت له أنه ترك لهم مالاً كثيرًا وصحبته إلى أكياس بها حجارة كى يتحسسها ويطمئن إلى أنهم ليسوا فى احتياج لمن يعولهم بعد هجرة أبيهم مع رسول الله.

وكانت اسهامات أبى بكر الصديق بأمواله فى دعم جيش المسلمين فى غزوات الرسول ﷺ وفى اعتاق من يعذبون من المسلمين على أيدى كفار قريش مثالاً نادرًا فى نبالة خلقه وصدقه وأمانته حتى أن الرسول ﷺ أخبر أن إيمان الأمة لو وزن بإيمان أبى بكر لرجح

إيمان أبى بكر، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذكر دائمًا أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان سباقًا لفعل الخيرات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإغاثة الملهوف وسد حاجات الضعفاء.

ولما سئل رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه، قال عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجة وأم المؤمنين، فلما سألوه عن أحب الناس إليه ﷺ من الرجال أخبر أنه أبوها.

(١٠) إيمان عداس النصرانى

اتجه رسول الله ﷺ، حينما كان يدعو القبائل للإسلام ويطلب نصرتها إلى الطائف يطلب نصرة قبيلة ثقيف ويدعوها للإسلام، فآذته شر ايذاء، فدعا الله تعالى بهذا الدعاء.. "اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى، أو إلى عدو ملكته أمرى.. إن لم يكن بك علىَ غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو تحل علىَ سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك".

كان رسول الله ﷺ يكشف عن آمال ثباته بقوله. "إن لم يكن بك علىَ غضب فلا أبالى"، كما يكشف عن حقيقة عبوديته لله واعتماده عليه بقوله: "ولكن عافيتك أوسع لى".

ويبصره من بعيد صاحبا البستان فيدعوان خادمًا لهما ويأمرانه أن يحمل إلى الرسول ﷺ طبقًا فيه قطف من عنب كبير. ويذهب الغلام، واسمه عداس، وكان نصرانيًا، حاملاً طبق العنب إلى رسول الله ﷺ، واضعًا إياه بين يديه، ويغمره الرسول ﷺ بضياء من ابتسامته الشاكرة.

ثم يبسط يمينه نحو قطف العنب قائلاً: بسم الله؟

لقد أثارت هذه "البسملة" دهشة الغلام وعجبه. وعلى الفور دار بينه وبين الرسول ﷺ هذا الحوار.

قال عداس: هذا والله كلام لا يقوله أهل هذه البلاد.

وقال الرسول ﷺ: فمن أى البلاد أنت؟ ما دينك؟

أجاب عداس: أنا نصرانى من أهل نينوى.

قال الرسول ﷺ: من بلد الرجل الصالح يونس بن متى؟

قال عداس: وما علمك بيونس بن متى؟

قال الرسول ﷺ: إنه أخى كان نبيًا، وأنا نبى مثله.

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه..!

لقد كان ظهور "عداس" ارهاصًا بالمفاجآت الباهرة التى ستكتب تاريخ الإسلام ورسوله وتتضمن انتصارهما العظيم.

(١١) قدم المسلمين مكة معتمرين

ـ بيعة الرضوان ـ صلح الحديبية ـ قدوم أبى بصير مسلمًا

فى السنة السادسة للهجرة رأى الرسول ﷺ فى منامة ذات ليلة أنه دخل المسجد الحرام فى أصحابه آمنين، فاستبشر ﷺ بذلك وقص ما رأى على أصحابه فاستبشروا، فكان ﷺ والمسلمون فى أشد الشوق إلى زيارة البيت الحرام، وهكذا هيأ الرسول ﷺ الخروج للعمرة فى هذه السنة، خرج فى ذى القعدة معتمرًا لا يريد حربًا وساق معه الهدى سبعين بدنة، وصل رسول الله إلى ذى الحُليفة، فصلى بهم الظهر، فلما بلغ المشركين خروج رسول الله ﷺ راعهم ذلك، فاجتمعوا وتشاوروا فاستكبروا أن يدخل عليهم عنوة وبينهم وبينه

حرب، فأجمعوا الرأى على أن يخرجوا ويعسكروا، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن راغبًا فى القتال وحريصًا على أن يجعل رحلته سلمية، فلما رأى قريشًا تهيأت لحربه وأرسلت إليه طلائعها، فسلك طريقًا غير طريقهم وإن كان وعرًا وشاقًا. فلما استقر رسول الله بالحديبية أتى إليه بديل بن ورقاء في نفر من رجال فزاعة، يسألونه عن سبب مجيئه فقال لهم: إنا لم نأت لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين. فخرج بديل وأصحابه إلى قريش فقالوا لهم: وإنكم تعجلون على محمد وإنه والله لم يأت لقتال وإنما جاء زائرًا للبيت. فصمموا ألا يدخلها عليهم عنوة ـ على رغمهم ـ ولا تتحدث عنهم العرب بذلك أبدًا. كما أتاه عروة بن مسعود سيد ثقيف. فقال: "إن هذا الرجل عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. دعونى ائته فقالوا ائته. فأتى قريش ناصحًا محذرًا، فلم يستمع القوم برأى عروة، كما أتاه أيضًا الحليس بن علقمة سيد الأحابيش وهم قوم يعظمون الهدى فلما نظر إلى الهدى فى الوادى عليه القلائد رجع ولم يصل إلى النبى ﷺ اعظاما لما رأى وقال لهم: "رأيت ما لا يحل صده. فقالوا، إنما كل ما رأيت مكيدة محمد وأصحابه.

وبعث إليهم رسول الله ضراشا بن أمية الكعبى ليبلغ أشرافهم ما جاء له فلم يقبلوا شيئًا وهموا أن يقتلوه فرجع للنبى وقال له " يا رسول الله، ابعث رجلاً أمنع منى".

فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، لكنه أبى لرسول الله خوفه على نفسه، ولكنه دله على رجل أعز بمكة منه، وأمنع وأكثر عشرة هو عثمان بن عفان، فدعاه الرسول ﷺ فخرج عثمان بن عفان إلى "بلدح" فوجد قريشا هناك وأقام عثمان بن عفان عند رجال قريش ثلاثة أيام يؤكد لهم صدق نية رسول الله ﷺ من زيارة البيت، فلم يقتنعوا. وكان عشرة من المهاجرين قد دخلوا على أهليهم بمكة

بإذن رسول الله ﷺ ، فشاع خبر بين المسلمين أن عثمان وأصحابه قد قتلوا ، واتسعت الشائعة حتى بلغت رسول الله ﷺ . فحينما علم بذلك قال لأصحابه: " لا نبرح حتى نناجز القوم ".

ودعا المسلمين إلى مبايعته على القتال، وأمر مناديًا فنادى "إن روح القدس، قد نزل على رسول الله ﷺ ، وأمره بالبيعة ، فاخرجوا على اسم الله فبايعوه. فبايع الناس على ألا يفروا ، ثم لبسوا السلاح، السيوف. وتهيأوا للحرب، وقال الرسول ﷺ "إن عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله ، فأنا أبيع عنه". فضرب شماله بيمينه وقال هذه لعثمان. مما جعل قريش لهذه البيعة أخذت تعيد النظر فى موقفها ، فرأوا أن من باعوا أنفسهم ليس هذا إلا لثقة فى النصر من الله ، فرأوا أن الجنوح إلى السلم خير وأبقى، فأرسلوا سهيلا بن عمرو فى نفر من رجالهم يفاوضون رسول الله ﷺ فى الصلح على أن يرجع الرسول ﷺ عن مكة عامه هذا حفاظًا على سمعة قريش بين العرب. وقد نص الاتفاق على ما يلى:

١ـ أن يرجع محمد وأصحابه فى عامهم هذا عن مكة ، على أن يدخلوها فى العام التالى، وتخليها لهم قريش ثلاثة أيام يطوفون فيها بالبيت العتيق.

٢ـ عقد هدنة بين قريش والمسلمين مدتها عشر سنوات يأمن فيها كل من الطرفين صاحبه.

٣ـ السماح للقبائل العربية بالدخول فى حلف محمد إذا أرادت، وأن يدخل فى حلف قريش من يريد أيضًا (ويعد هذا الشرط من أهم مكاسب المسلمين فى قدرتهم على منازعة سيادة قريش وحدها على بلاد العرب).

٤ـ من جاء إلى محمد من أهل مكة دون إذن وليه رده إليها ، ومن

جاء من أصحاب محمد لا يرد إليه (وقد أغضب هذا الشرط المسلمين، وجادلوا فيه الرسول الكريم ﷺ، ولكنه أصر على إبرام الصلح، لما فيه من مكاسب كثيرة للمسلمين).

وقد ضاق كثير من المسلمين بهذا الصلح وبخاصة عمر بن الخطاب وقالوا " ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، فعلام نعطى الدنية فى ديننا إذن؟ ولكن رسول الله لم يخالف أمر الله.

ومما ذاد ضيق المسلمين بالصلح تشدد سهيل بن عمرو أثناء كتابة عقد الصلح مع تساهل رسول الله ﷺ.

كما حضر أبو جندل بن سهيل بن عمرو هاربًا من مكة يرسف فى قيوده بعد أن أوثقه أبوه وسجنه بسبب إسلامه.

ولكن أباه أخذ يضرب وجهه، وصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين. أرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟ فزاد ذلك من غضب المسلمين. وقال سهيل بن عمرو "هذا أول من قاضيتك على رده، فرده رسول الله ﷺ قائلاً لأبى جندل : " أصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم".

وقد استفز الموقف عمر بن الخطاب، فمشى إلى جوار أبى جندل يدلى منه قائم السيف، رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه. ولكن أبا جندل أبى ذلك. ومضى والمسلمون ينظرون إليه فى حسرة. عائدًا إلى مكة. ولما فرغ الرسول ﷺ من كتابة عقد الصلح وانطلق سهيل بن عمرو وأصحابه. قال ﷺ لاصحابه "قوموا فانحروا واحلقوا". فلم يجبه رجل منهم إلى ذلك حتى قالها ثلاث مرات، فدخل على أم سلمة زوجة رضي الله عنها غاضبًا، حتى أنه كان لا يجيبها مرارًا. فقال: عجبًا يا

أم سلمة! إنى قلت للناس انحروا واحلقوا وصلوا مرارًا فلم يجبنى أحد من الناس وهم يسمعون كلامى وينظرون فى وجهى، فقالت: يا رسول الله. انظلق أنت إلى هديك، فانحره، فإنهم سيقتدون بك. وقد كان فما أن نحر هديه، حتى تواثب الناس إلى الهدى واذدحموا عليه.

وروى أن أم سلمة لما ذكر لها رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله لا تلمهم، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة من أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح، وقد قال رسول الله ﷺ ثلاثا "رحم الله المحلقين، فلما قالوا: يا رسول الله والمقصرين. قال: والمقصرين، وقال فى ذلك أن المحلقين لم يشكوا.

وبعدئذ لما سألوا الرسول ﷺ عما سبق أن بشرهم به من دخول المسجد الحرام وهم لم يدخلوا، فيقول لهم: "أكنت حدثتكم أنكم تدخلونه هذا العام، فيقولون "لا" فيقول "فإنكم ستدخلونه، وتطوفون به إن شاء الله. فيسالونه: وكيف نرد إلى الكفار من جاءنا مسلمًا ولا يردون إلينا من جاءهم مرتدًا؟! فيقول لهم: من ذهب منا إليهم فلا رده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا".

ولقد كان للصلح كثير من المزايا والخير الكثير، فاعترفت قريش بحق المسلمين فى زيارة البيت، وأمن المستضعفون على أنفسهم. وأمن الناس بعضهم بعضًا، ولقد دخل فى الإسلام فى تلك الهدنة من كانوا من صناديد المشركين كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم.

قدوم أبى بصير

بعد أن عاد المسلمون مع رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، قدم عليهم أبو بصير بن أسيد الثقفى مسلمًا، وكان من المطلوب رده لقريش طبقًا لشروط الصلح والذى كان يتألم منه المسلمون غاية التألم، كان أبو بصير قد فر هاربًا بدينه من قريش، فأرسلت رجلين من رجالها تطالب به النبى ﷺ لرده إليها، فقال الرسول ﷺ: يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، وما يصلح لنا في ديننا الغدر، فانطلق إلى قومك". فقال أبو نصير: يا رسول الله، أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟! "قال: انطلق، فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا".

وكان أبو بصير قوى الشكيمة، فلما كانوا ببعض الطريق احتال حتى أخذ من أحد الرجلين سيفه، ثم جعل يضربه به حتى قتله، فلما رأى صاحبه ذلك فر بنفسه هاربًا. وأبو بصير فى اثره يقول: "والله لو أدركته لاسلكته طريق صاحبه". حتى دخل الرجل على رسول الله ﷺ المسجد مرتاعًا يقول: قتل صاحبكم صاحبى!!". فسلم أبو بصير على رسول الله ﷺ ثم قال: وفت ذمتك يا رسول الله، وأدى الله عنك، أسلمتنى إلى القوم، وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه، فقال رسول الله ﷺ: "اذهب حيث شئت". فلما ولى أبو بصير قال رسول الله ﷺ: " ويلأمه، مسعر حرب!! لو كان له أحد".

فانطلق أبو بصير حتى أتى ناحية من ساحل البحر تسمى العيص على طريق عير قريش إلى الشام. فخرج ولم يكن معه من الزاد إلا كفًا من تمر فأكلها، ثلاثة أيام، وكان يأتى الساحل فيصيب حيتانًا قد ألقاها البحر فيأكلها. وبلغ المسلمون الذين حبسوا بمكة

ما حدث لأبى بصير، فجعلوا يتسللون إلى أبى بصير، وكانوا قد جاءهم كتاب عمر بن الخطاب، فلما علموا منه أن أبا بصير بالساحل على طريق عير قريش، تسللوا إليه رجلاً رجلاً، فاجتمعوا عند أبى بصير سبعين رجلاً كان فيهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فضيقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر عير إلا اقتطعوها، وقد أمروا عليهم أبا بصير، فكان يصلى بهم. وقد اشتد على سهيل بن عمرو مقتل العامرى الذى أوفد لإرجاع أبى بصير واحتاروا من الذى يدفع ديته إلى أهله، وقد أكدت قريش أن محمدًا قد برئ منه.

فلما بلغ أبو بصير ما بلغ من الغيظ، بعثت قريشًا رجلاً إلى رسول الله ﷺ، وكتبت معه كتابًا يسالونه بأرحامهم " ألا تدخل أبا بصير وأصحابه فلا حاجة لنا بهم ".

فكتب رسول الله ﷺ إلى أبى بصير أن يقدم بأصحابه، فجاءه الكتاب وقد حضرته الوفاة، فجعل يقرأ وهو يموت، فمات وكتاب رسول الله ﷺ فى يديه، فقبره أصحابه هناك، وصلوا عليه، وبنوا على قبره مسجدًا، وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون رجلاً.

(١٢) إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

كان عمرو بن العاص قد حضر بدرًا مع المشركين، فقد كان معاندًا للإسلام، ثم حضر أحدًا، فنجا منها، ثم حضر غزوة الخندق. فقال فى نفسه، والله ليظهرن محمد على قريش، ولم يحضر الحديبية ولا صلحها، فخلف ماله بالرهط، فقدم مكة فجمع رجالاً من قومه يرون رأيه ويسمعون منه. فرأى أن يلحقوا بالنجاشى، فإن ظهر محمد كانوا عند النجاشى وليسوا تحت يد محمد، وإن تظهر قريش فنحن

ممن قد عُرفوا. وخرجوا فأتوا النجاشى، وإذ كانوا عنده جاءه عمرو بن أمية الضمرى ـ وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كتبه إليه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان، ثم خرج من عنده. فدخل عمرو بن العاص على النجاشى محييًا فقال له: أيها الملك إنى قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وجارنا فاعطنيه أقتله. فرفع النجاشى يده فضرب بها أنف عمرو بن العاص فأدماه فجعل يتلقى الدم بثيابه. فلما سأله عن كراهيته لما سأله قال: تسألنى أن أعطيك رسول رسول الله. من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام، والذى كان يأتى عيسى بن مريم عليه السلام لتقتله؟!!.

فغير الله قلب عمرو بن العاص عما كان عليه وقال فى نفسه: عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالف أنت؟!!

قال: أتشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم، أشهد به عند الله يا عمرو، فأطعنى وابتعه. قال: أفتبايعنى على الإسلام؟

قال: نعم؟ أشهد. فبسط يده، فبايعه عمرو على الأسلام ودعا له بطست ففسل عنه الدم، وكساه ثيابًا، ثم خرج عمرو بن العاص يريد المدينة، وإذا برجلين قد سبقاه أحدهما خالد بن الوليد، فقال: أبا سليمان؟ قال: نعم. قال: أين تريد؟ قال: محمد.

دخل الناس الإسلام فلم يبق أحد به طمع. والله لو أقمنا لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع فم مغارتها. قال عمرو: وأنا والله قد أردت محمدًا، وأردت الإسلام. وخرج عثمان بن طلحة، فرحب به فنزلوا جميعا فى المنزل، ثم ترافقوا حتى قدموا المدينة وأناخو بالحرة، فانطلقوا حتى قدموا المدينة وطلعوا عليه ﷺ وإن وجهه تهلل، والمسلمون حوله قد سروا بإسلامهم. فتقدم خالد بن الوليد

فبايع. ثم تقدم عمرو بن العاص، فلما جلس لم يستطع أن يرفع طرفه إلى النبى حياء منه، فبايعه على أن يغفر له ما تقدم من ذنبه. فقال: إن الإسلام يَجُبُ ما قبله، والهجرة تَجُبُ ما كان قبلها.

(١٣) إسلام سعد بن معاذ

بعد بيعة العقبة الأولى، والتى قدم أهلها من المدينة وهم (أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا الحارث وهم ابنا عفراء، ورافع بن مالك بن عجلان، وعبادة بن الصامت وغيرهم من الخزرج ـ ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان وهويم بن ساعدة) فانصرفوا بعد البيعة، وبعث معهم النبى ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وأمره أن يقرئهم القرآن الكريم، ويعلمهم الإسلام، فنزل مصعب بالمدينة على أسعد بن زرارة، وأنزله أسعد فى دار بنى ظفر، واجتمع عليه رجال ممن أسلموا فسمع به سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدا بنى الأشهل، وكانا مشركين.

فقال سعد لأسيد: انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فأنههما (ويعنى بالرجلين مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة)، فإنه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتى لكفيتك ذلك.

فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعافنا اعتزلا عنا فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنا ما تكره؟ فقال: أنصفت. ثم جلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام، فقال: ما أحسن هذا وأجله؟ كيف تصنعون إذا دخلتم هذا الدين؟ فقالا: تغتسل وتطهر ثيابك، ثم تشهد شهادة الحق ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ ثم تصلى ركعتين، ففعل ذلك وأسلم، ثم قال لهما إن ورائى رجلاً إن تبعكما لم يتخلف

عنكما أحد من قومه وسارسله إليكم وهو سعد بن معاذ.

وانصرف أسيد إلى سعد وقومه. فلما نر سعد قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، ثم قال لاسيد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين ما رأيت بهما بأسا.

وذهب سعد بن معاذ إلى أسعد ومصعب فدعاه مصعب إلى الإسلام فأسلم على نحو ما أسلم أسيد. ثم ذهب إلى دار بنى عبد الأشهل فسألهم قائلاً: هل تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىَ حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا أصبح مسلمًا أو مسلمة.

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، وما زال يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من بنى أميه بن زيد حيث أسلموا بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة.

(١٤) مصرع عدو الله أبى جهل

فى غزوة بدر الكبرى حينما هجم المسلمون بقوة وبسالة على عدوهم من مشركى قريش، ظهرت أمارات الاضطراب فى صفوفهم وقتل من قتل، حاول أبو جهل أن يصمد وجعل يشجع المشركين، وكان بنو مخزوم قد ألبسوا لأمة أبى جهل عبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة فصمد له على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقتله وهو يظن أنه قتل أبا جهل، ثم ألبسوها قيس بن الفاكه بن المغيرة فصمد له حمزة وهو يظنه أبا جهل، فضربه فقتله. ثم ألبسوها حرملة بن عمرو، فصمد له على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقتله ـ وأبو جهل فى أصحابه، ثم حمل معاذ بن عمرو بن الجموح على أبى جهل، فضربه، وطرح رجله من الساق، ثم أقبل

عكرمة وضرب معاذ حتى قطعت يده. فنقل رسول الله ﷺ سيف أبى جهل لمعاذ بعد أن أرسل إلى عكرمة بن أبى جهل فسأله: من قتل أباك؟ قال الذى قطعت يده. ويقال إن معاذا بن عمرو وابنى الحارث أثبتوا أبا جهل، وضرب ابن مسعود عنقه فى آخر رمق. فكل قد شارك فى قتل عدو الله أبى جهل. وقد استشهد ابنا الحارث صغيرى السن يومئذ ووقف رسول الله ﷺ على مصرعهما قائلاً: رحم الله ابنى عفراء، فإنهما قد شاركا فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر، فقيل: " يا رسول الله من قتله معهما؟ قال: الملائكة وأجهز عليه ابن مسعود. فكل قد شارك فى قتله. وفرح رسول الله ﷺ بقتل أبى جهل وقال: "اللهم قد أنجزت ما وعدتنى فتمم علىَ نعماءك".

(١٥) طلحة بن عبيد الله فى غزوة أحد

بعد أن انتصر المسلمون على كفار قريش فى غزوة بدر الكبرى انتصارًا مؤزرًا، أراد مشركو قريش أن ينتقموا لقتل زعمائهم، فأخذ المشركون يحرضون القبائل ضد المسلمين ويفتحون باب التطوع لكل من رغب فى غزو المسلمين.

وبعد مضى سنة عن معركة بدر استكملت قريش عدتها، وخرجت بقواتها ـ وهم ثلاثة آلاف مقاتل بعد أن انضم إليهم مائة رجل من ثقيف.

وكان الرسول ﷺ على صلة وطيدة بعمه العباس بن عبد المطلب والذى كان مازال على دين قومه، ويعيش فى مكة. استأجر رجلاً من بنى غفار ليخبر رسول الله ﷺ بتحركات قريش واستعداتها العسكرية، فأسرع الغفارى رسول العباس برسالته وطلب النبى ﷺ أبىَ بن كعب وأمره أن يقرأ الرسالة عليه، وأمره بالكتمان، وعاد

مسرعًا إلى المدينة لتبادل الرأى مع قادة المهاجرين والأنصار.

وبعث رسول الله ﷺ لاستطلاع خبر العدو، فجاءوا إليه وأخبروه بمنزلهم من وادى أحد، وحددوا له أعدادهم وعتادهم. واختلف رأى من استشارهم رسول الله ﷺ بين المكوث بالمدينة أو الخروج إلى الكافرين، إلا أن اشتياق الأغلبية للخروج عسى أن تُكتب لهم الشهادة كان هو الرغبة الغالبة، فصلى الرسول ﷺ بهم الجمعة ووعظهم وأخبرهم بأمر الخروج لقتال المشركين، ففرح الناس بالخروج إلى عدوهم. ثم خرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته، قال الذين كانوا يلحون فى الخروج "يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك، فقال: لا ينبغى إذا لبس نبى لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. وقد بات المسلمون بين جبل أحد والمدينة وانتخب رسول الله ﷺ للحراسة خمسين رجلاً قائدهم محمد بن مسلمة الأنصارى. وقد حدث تمرد شيخ المنافقين عبد الله بن أبى سلول، فانسحب بنحو ثلث الجيش قائلاً: ما ندرى علام نقتل أنفسنا". وقد كان هدفه أن يحدث الاضطراب والارتباك على مرأى ومسمع من العدو، لكى يحقق هدفه ويسرع فى القضاء على النبى ﷺ وأصحابه. وأصبح عدد الجيش بعد انسحاب عبد الله بن أبى وأصحابه.. سبعمائة مقاتل، فزحف النبى ﷺ ببقية الجيش نحو مواقع العدو، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين جبل أحد. ونزل النبى بالجيش إلى تل مشرف يقال له جبل عينين واسمه حاليًا جبل الرماة، ونزل الشعب من جبل أحد من عدوة الوادى. فعسكر بجيشه مستقبلاً المدينة وجاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد.

وأبدى الرسول ﷺ أوامره لقائد خمسين من الرماة المهرة وهو عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصارى قائلاً: انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتون من خلفنا إن كانت لنا أو علينا _ أى فى حالتى النصر أو

الهزيمة _ فاثبت مكانك، لا نؤتين من قبلك. ثم قال للرماة "احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وذلك حتى لا يقوم المشركون بمحاولات الالتفاف والتطويق لجيش المسلمين.

وانشغل الرسول ﷺ فى صف جنوده وتحديد مواقعهم، فانتهز المشركون الفرصة للإتيان من السهل المنبسط تحت التل وصار الجيشان وجهًا لوجه، فأخذ الرسول ﷺ يحرض المؤمنين على القتال، حتى أنه جرد سيفًا باترًا ونادى فى أصحابه "من يأخذ هذا السيف بحقه" فقام إليه رجال ليأخذوه _ منهم على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام _ حتى قام إليه أبو دجانه سماك بن خرشة، قال أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه. وكان أبو دجانه رجلاً جسورًا، له عصابة حمراء إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت، ولما اعتصب بها ومشى يتبختر فى مشيته، قال رسول الله ﷺ : "تلك مشية يبغضها الله إلا فى هذا الموقف".

وقد أبلى فى القتال بلاء حسنًا. وحاول المشركون قبل بدء المعركة الالتفاف مرتين بحركة سريعة، مرة بلواء عكرمة فى الميسرة، والمرة الأخرى بمحاولة خالد بن الوليد من الميمنة، فلم يفلحوا. فقد أمطرهم الرماة وابلاً من النبال، فارتدت الخيل على أعقابها مسرعة، وعاد المشركون إلى أماكنهم فى أول المعركة.

ثم اشتعلت المعركة بتقارب الجمعين، فخرج حامل لواء المشركين طلحة بن أبى طلحة العبدرى وهو راكب على جمل _ وكان من أشجع رجال قريش _ وأخذ يدعو للمبارزة، فبرز إليه الزبير بن العوام ولم يمهله بل وثب إليه وثبة الليث فألقاه عن جمله واقتحم به الأرض، وأخذ منه سيفه فذبحه به.

فرح المسلمون وأثنى رسول الله على الزبير قائلاً: "إن لكل نبى حواريًا وحواريَ الزبير". ثم هجم على بن أبى طالب على شيبة بن أبى طلحة الذى أخذ اللواء من أخيه _ فقتله. فأخذ اللواء أبو سعد بن أبى طلحة، فرماه سعد بن أبى وقاص بسهم فى حنجرته فمات لحينه. وأقبل أبو دجانه معلمًا بعصابة حمراء آخذًا سيف رسول الله ﷺ مصممًا على أداء حقه، فقاتل ببسالة، وكان لا يلقى مشركًا إلا قتله، فأخذ يهد المشكرين هدًا، حتى قال الزبير بن العوام "وجدت فى نفسى _ أى أحس بالحزن، حيث سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنى إياه، وأعطاه أبا دجانه، فقلت فى نفسى " أنا ابن صفية عمته، ومن قريش وقد قمت إليه فسألته إياه قبله. فأتاه إياه وتركنى!! والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته _ يقصد أبا دجانة _ فأخرج عصابته الحمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار " أخرج أبو دجانة عصابة الموت، فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله. وجعل المسلمون يتبعون المشركين الذين هربوا حتى أبعدوهم عن المعسكر، ثم وقعوا على الغنائم والأسلاب يجمعونها وهم مطمئنون إلى أن ظهورهم لا تزال محمية برماتهم.

وأثناء هجوم المشركين كان حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وأسد الله يهجم على الأعداء ويهدهم هدًا، فترصد له غلام هو وحشى بن حرب كان يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطئ بها شيئًا _ قال له مولاه جبير بن مطعم إن قتلت حمزة عم النبى بعمى (عمه طعيمة بن عدى قد قتل ببدر) فأنت عتيق. تحين وحشى لحمزة فهز حربته ودفعها إلى فوقعت فى أحشائه حتى مات فلما قدم مكة أعتق.

وخيل للرماة أن المعركة انتهت وأن الهزيمة حلت بالمشركين، فخشوا أن يسبقهم إخوانهم فى جمع الغنائم فقالوا وما بقاؤنا، ادخلوا فاغتنموا مع إخوانكم مخالفين بذلك أوامر رسول الله ﷺ. وانتهز الفرصة خالد بن الوليد وجاء فى أعقابه عكرمة بلوائه فتسللوا فوق

الجبل فأزاحوا الرماة من أماكنهم واقتحموا خطوط المسلمين، وفوجئ المسلمون بأعدائهم قد حاصروهم وأوقعوا فيهم قتلاً سريعًا. ومما زاد الأمر سوءًا أن صرخة خائنة انطلقت تصرخ فى الناس "إن محمدًا قد قتل" فأخذ المسلمون بهذه الصرخة واذهلتهم المفاجأة وأمعنوا فى الفرار ولم يبق مع النبى ﷺ غير طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص، حتى أن الرسول ﷺ قال: اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسوله. ثم مكث ساعة ثم قال: الله اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون.

وقد قاتل طلحة بن عبيد الله قتالاً شديدًا، وصار يزود بالسيف من بين يدى النبى ﷺ ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، يدور حوله يترس بنفسه دونه ـ والسيوف تغشاه والنبل تأتيه من كل ناحيه فلم يزل يقى رسول الله ﷺ حتى انكشف المشركون عنه فجعل رسول الله ﷺ يقول قد أوجب طلحه ـ أى أوجب لنفسه الجنة ـ بصدق دفاعه عن رسول الله ﷺ، وحتى قيل ذاك اليوم كله لطلحه.

ولما انصرف المشركون يوم أحد قال رسول الله ﷺ: "استووا حتى أثنى على ربى ﷻ". فصاروا خلفه صفوفًا، فدعا ربه قائلاً: "اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا هادى لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطى لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم إنى أسألك النعيم المقيم والأمن يوم الخوف. اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق".

(١٦) إسلام عدى بن حاتم وأخته

لما سمع عدى بن حاتم برسول الله ﷺ كره دعوته، كان يدين بالنصرانية ويأخذ من قومه المرباع ـ وهو ربع ما يصلهم من غنائم الحروب ـ وكان العرب يجعلون ذلك لرئيسهم، فلما سمع بقرب قدوم حملة رسول الله ﷺ إلى قومه ـ انزعج وترك قومه، ولحق بنصارى الشام وفى غمرة انزعاجه وفراره نسى أخته بين قومه. فلما قدم رسول الله ﷺ ومن معه من مجاهدى المسلمين وقعت ابنة حاتم الطائى فى الأسر، فلما مر رسول الله ﷺ يتفقد السبى عرفته بنفسها حتى تفدى نفسها، فأمر رسول الله ﷺ بإطلاق سراحها، وأكرمها إكرامًا لأنها ابنة حاتم الطائى أجود العرب، فما يليق أن تؤسر ابنة من رفع ذكر العرب فى الجود والكرم.

فكان هذا سببًا فى هدايتها ودخولها الإسلام، هذا ما كان منها أما عدى بن حاتم فقد كره مكانه بالشام أشد من كراهته لرسول الله ﷺ فقال فى نفسه "لو أتيته، فإن كان ملكًا أو كاذبًا لم يخف علَى أمره. وإن كان صادقًا اتبعته، وصادف هذا أن بعثت له أخته كى تبشره ليدخل فى الإسلام حتى لا يفوته كرامة الدنيا وعز الآخرة، فخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ فى المدينة، فدخل عليه وهو فى مسجده، فقال: عدى بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ فانطلق به إلى بيته، وفى الطريق إذ لقيته امرآة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها، ثم مضى به رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفًا، فقذفها إليه وقال: اجلس على هذه.

قال عدى: بل أنت فاجلس عليها، فقال بل أنت.. فجلس عليها

وجلس رسول الله ﷺ على الأرض. فقال عدى فى نفسه "والله ما هذا بأمر ملك!

ثم قال: إيه يا عدى بن حاتم.

هل تعلم من إله سوى الله؟

قال: لا.

قال: ألم تكن ركوسيًا (قوم لهم دين النصارى والصابئة).

قال: بلى.

قال: ألم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟

قال: بلى.

قال: فإن ذلك لم يكن يحل فى دينك.

قال: أجل والله.

قال: لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجة أهله. فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه [1]، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من بيتها من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان فى غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليه. فأسلم عدى. وقال عدى بن حاتم، فرأيت اثنين مما تنبأ رسول الله ﷺ، الظعينة التى ترحل هودجها حاجة وهى آمنة لا يمسها خوف، وكنت فى أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة، إنه لقول رسول الله ﷺ لى.

---

(١) حدث هذا فعلاً فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

(١٧) شهيد فى الجنان حارثة بن سراقة

عقب انتهاء معركة بدر الكبرى، وكان كبار المسلمين يهنئون رسول الله ﷺ وأصحابه بالنصر المبين، حدث كما روى البخارى، أن حارثة بن سراقة أتاه سهم غرب، لا يعرف راميه، فوقع فى نحره، فلقد شرب القوم آخر النهار من دمه. فبلغ أمه وأخته خبر مقتله وهما بالمدينة. فقالت أمه، والله لا أبكى عليه حتى يقدم رسول الله ﷺ فاسأله، فإن كان ابنى فى الجنة لم أبك عليه، وإن كان فى النار بكيت عليه فأعولته. فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر جاءته أم حارثة فقالت: يا رسول الله. قد عرفت موقع حارثة من قلبى. فأردت أن أبكى عليه. فقلت لا أفعل حتى أسأل رسول الله ﷺ فإن كان فى الجنة لم أبك عليه. وإن كان فى النار بكيت فأعولته. فقال النبى ﷺ: هبلت، أجنة واحدة؟!

إنها جنان كثيرة، والذى نفسى بيده، إنه لفى الفردوس الأعلى. قالت: فلا أبكى عليه أبدًا.

فدعا رسول الله ﷺ بإناء من ماء، فغمس يده فيه، ومضمض فاه، ثم ناول أم حارثة فشربت، ثم ناولت ابنتها فشربت، ثم أمرهما فنضحتا فى جيوبهما، ففعلتا. فرجعتا من عند النبى ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقر عينا وأسر منهما.

(١٨) إسلام مالك بن عوف

بعد انتصار المسلمين فى غزوة حنين، وتوزيع الغنائم بالجعرانة، ثم قدم على رسول الله ﷺ وفد هوازن سأل عليه الصلاة والسلام وفد هوزان عن مالك بن عوف، فعلم أنه لا يزال بالطائف مع ثقيف، وطلب

إليهم أن يبلغوه "إن أتاه مسلمًا رد عليه أهله، وأعطاه مائة من الأبل.

فلما علم مالك بوعد رسول الله ﷺ تسلل من وراء ثقيف، وأتى رسول الله مسلمًا، فأعطاه رسول الله ما وعده، وأمرَه على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفا، ويغير على سرحهم، حتى ضيق عليهم.

(١٩) الأعرابى فى غزوة ذات الرقاع

سمع رسول الله ﷺ باجتماع نفر من أنمار وبنى محارب من غطفان لغزو المدينة، فأسرع بالخروج إليهم، وسار إلى موضع يقال له نخل على بعد يومين من المدينة، فلقى جمعًا من غطفان، وخاف الفريقان بعضهما بعضًا، ولم يكن بينهما قتال.

وكان قد خرج مع رسول الله ﷺ ستة نفر بينهم بعير يتعقبونه، فنشبت أقدامهم وسقطت أظافرهم وكانوا يلفون على أرجلهم الخرق، فسميت الغزوة بذات الرقاع لهذا؟. فأتوا على شجرة ظليلة تركوها للنبى ﷺ، فنزل تحتها وتفرق الناس، وعلق رسول الله ﷺ سيفه بالشجرة، وناموا، فجاء رجل أعرابى من المشركين فاختطف سيف رسول الله ﷺ وقال: أخافنى؟ قال رسول الله ﷺ: لا. قال: فمن يمنعك منى؟ قال: الله. فسقط السيف فأخذه رسول الله ﷺ وقال له: من يمنعك منى؟. قال: كن خير آخذ، فقال رسول الله ﷺ "تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله". ثم دعا رسول الله ﷺ: أصحابه فجاءوا، فإذا عنده هذا الأعرابى جالسًا، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم، فاستيقظت وهو فى يده، فقال: من يمنعك منى؟. قلت: الله. فها هو ذا جالس، ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ فقال الأعرابى: أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى رسول الله ﷺ سبيله، فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس.